

في حكم التوسل بالنبي والولي

تاليف الشيخ العلامة

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر

رحمه الله تعالى

قام بتصحيحه وإضافة بعض تعليقات عليه

فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري

رحمه الله تعالى

طبع على نفقة بعض المحسنين

تحت إشراف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

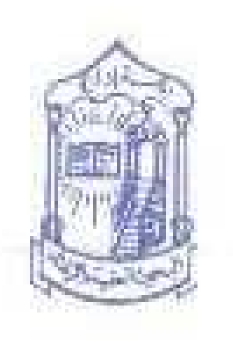
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م





في حكم التوسل بالنبي والولي

تأليف الشيخ العلامة

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر

رحمه الله تعالى

قام بتصحيحه وإضافة بعض تعليقات عليه

فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري

رحمه الله تعالى

طبع على نفقة بعض المحسنين

تحت إشراف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

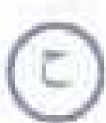
الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الرياض – المملكة العربية السعودية
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خضر، محمد بن أحمد

القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي – الرياض

٧٨ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك: X-٢٠٨-١١-٩٩٦٠

١- التوسل أ - العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٢/٤٨٤٥

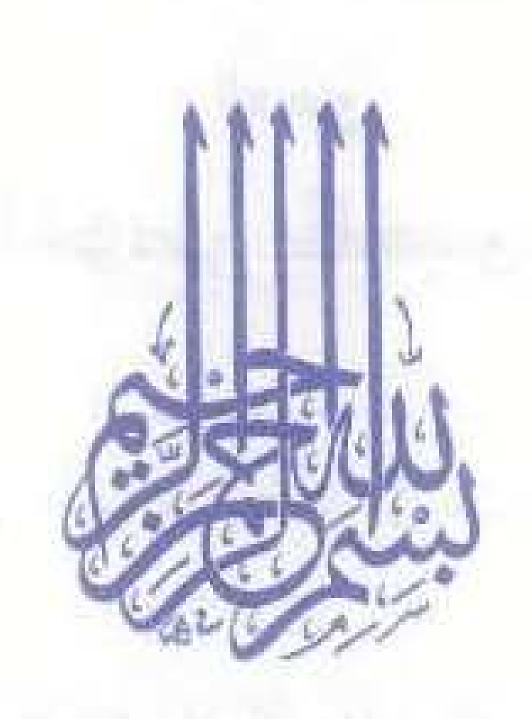
رقم الإيداع: ٢٢/٤٨٤٥
ردمك: X-٢٠٨-١١-٩٩٦٠

القـــول الجلـي
فـي
حكم التوسل بالنبي والولي

تأليف الشيخ العلامة
محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالسلام خضر
رحمه الله تعالى

قام بتصحيحه وإضافة بعض تعليقات عليه
فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري

رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ(١) ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا(٢) أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: كاملة].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ(٣) وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، الذي ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ(٤)﴾ [طه: ٦]، القائل: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن

---

(١) الصمد: السيد؛ لأنه يُصْمَدُ إليه في الحوائج، أي: يُقصد، يقال: صمده من باب نصره، أي: قصده. ا.هـ. [مختار الصحاح].

(٢) كفواً: أي ولم يكن له أحد يكافؤه، أي: يماثله من صاحبة أو غيرها. ا.هـ. [تفسير البيضاوي].

(٣) ولي: يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته. ا.هـ. [تفسير البيضاوي].

(٤) الثرى: التراب الندي.

رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا(١) إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] الذي: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]، ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨ـ٨٢]، الذي يُعطي ويمنع، ويضر وينفع، ويخفض ويرفع، ويُعز ويُذل بعدله وفضله وحكمته، لا لأجل أحد من خلقه أجمع، بل ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤]،

---

(١) العقيم: التي لا تلد، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له. اهـ. [تفسير النسفي].

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل لنبيه: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

والقائل له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

والقائل له: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

والقائل: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن

الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف»[١].

والقائل: «يا أبا بكر، لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل»[٢].

اللهم صلِ وسلم عليه وعلى آله وصحبه، وكل عبد اتبع سنته واقتفى أثره و ناصره ووالاه.

أما بعد: فهذه رسالة [القول الجلي، في حكم التوسل بالنبي والولي]، كتبها - في غاية العجالة والاختصار - راجي اللحوق بالمتقين الأخيار: محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالسلام، إلى كافة

---

(١) أخرجه من حديث ابن عباس: أحمد (١/ ٣٠٧)، والترمذي (٤/ ٥٧٥، ٥٧٦)، رقم الحديث (٢٥١٦) واللفظ له.

(٢) المشهور من حديث: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل» رواه الطبراني في [مجمع الزوائد] (١٠/ ١٥٩)، وقال: وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام.

من اطلع عليها من أهل الإسلام، أنار الله قلوبنا وقلوبهم بنور العلم والإيمان، وجعلنا وإياهم ممن اتبع الحق وهدى إليه ونصر السنة والقرآن، وأعاذنا وإياهم من زيغ القلوب ونزغات الشيطان، ومن الوسائل المحدَثة المقربة من النيران، ومن الشرك بعبادة الرحمن.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فاعلموا إخواني أن التوسل في القرآن العظيم، وفي كلام السيد المعصوم الأمين، وعند العلماء اللغويين، والمحدِّثين والمفسرين، إنما هو: التقرب إلى الله رب العالمين، بما شرعه على لسان سيد النبيين.

وإليك نصوصهم في ذلك أجمعين:

١ ـ قال في [القاموس] في مادة (وسل):

الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تَقَرَّب به إليه. ا.هـ.

ـ وقال في [المصباح المنير][1] في مادة (وسل):

وسلت إلى الله بالعمل (أَسِلُ) من باب وعد: رغبت وتقربت، ومنه اشتقاق الوسيلة، وهي: ما يتقرب به إلى الشيء ـ إلى أن قال ـ: وتوسل إلى ربه بوسيلة: تقرب إليه بعمل. ا. هـ.

٢ ـ وقال في [نهاية ابن الأثير]: (وسل) في حديث الأذان: «اللهم آت محمداً الوسيلة»، هي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ـ إلى أن قال ـ: والمراد به في الحديث: القرب من الله تعالى[2]. اهـ.

ـ وقال في [الدر النثير]: الوسيلة: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، والجمع وسائل. ا. هـ.

---

(١) [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي] لأحمد محمد المقري (٢/ ٦٦٠).

(٢) تمام عبارة ابن الأثير: (وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل: هي منزلة من منازل الجنة، كذا جاء في الحديث. ا. هـ) (الأنصاري).

٣ ـ وفي [مفردات الراغب الأصفهاني] في (وسل): الوسيلة: التوسل إلى الشيء برغبة ـ إلى أن قال: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] حقيقة الوسيلة إلى الله: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقُربة. ا.هـ.

وقال الإمام الطبري في تفسيره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة: هي الفعيلة، من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا، بمعنى: تقربت إليه، ومنه قول عنترة:

إن الرجال لهم إليكِ وسيلةٌ
إنْ يأخذوكِ تكحّلي وتخضّبي

يعني بالوسيلة: القربة، ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ـ وساق أقوالهم وبينها قولاً قولاً. حاصلها: أن الوسيلة: هي التقرب إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه. ا.هـ.

فصـــل

أما توسل الصحابة بالنبي ﷺ:

فقد روى الشيخان: أن رجلاً دخل المسجد والرسول ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم أغثنا**» ثلاثاً؛ فأمطرت السماء أسبوعاً، ثم دخل الرجل في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل[1]، فادع الله أن يمسكها عنا، فرفع النبي ﷺ يديه، وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» إلخ الحديث. قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس[2].

---

(١) يعني: من شدة المطر.

(٢) متفق عليه من حديث أنس: البخاري (١٦/٢، ١٧)، ومسلم=

توسل الأعمى: وجاء رجل ضرير إلى النبي ﷺ فشكا ذهاب بصره، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا تصبر؟» فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شق عليَّ[١]، فقال له: «إن شئتَ أخَّرتَ ذلك فهو خير لك، وإن شئتَ دعوتُ»، قال: فادْعُه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك[٢] نبي الرحمة، يا محمد، يا رسول الله، إني أتوجه بك[٣]

= (٢/ ٦١٢-٦١٤) رقم الحديث (٨٩٧).

(١) ليس عند الترمذي قوله: (يا رسول الله، ليس لي قائد، وقد شق عليَّ) وإنما هو عند الحاكم والبيهقي، كما في [القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة] لشيخ الإسلام ابن تيمية. ا. هـ. (الأنصاري).

(٢) أي: بدعاء نبيك؛ إذ التوسل بالذوات ممنوع شرعاً؛ ولذا قال العلامة العزيزي في شرحه على هذا الحديث: سأل أولاً أن يأذن الله لنبيه أن يشفع له، ثم أقبل على النبي ﷺ ملتمساً أن يشفع له، ثم كر مقبلاً على الله أن يقبل شفاعته قائلاً: فشفعه فيَّ. ا. هـ.

(٣) أي: بدعائك لي.

إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه فيَّ[١]، وشفعني في نفسي»[٢].

فردَّ الله عليه بصره[٣]. رواه الترمذي بسند صحيح غريب، انفرد به أبوجعفر، فإن كان غير الخطمي[٤] فهو ضعيف.

❋ ❋ ❋

---

(١) زاد أحمد: «وشفعني فيه».

(٢) ليس عند الترمذي قوله: «وشفعني في نفسي»، وإنما ورد عند البيهقي والحاكم من طريق غريب، كما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية في [قاعدته الجليلة في التوسل والوسيلة]، وذكر فيها ما يدل على أن هذا اللفظ لم يثبت عنده كونه محفوظًا. ا. هـ. (الأنصاري).

(٣) أخرجه من حديث عثمان بن حنيف: أحمد (٤/ ١٣٨)، والترمذي (٥/ ٥٣١) رقم الحديث (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١/ ٤٤١) رقم الحديث (١٣٨٥).

(٤) وقع في الترمذي: أنه غير الخطمي، وعلق شيخ الإسلام ابن تيمية في [التوسل الوسيلة] على ذلك بقوله: (هكذا وقع في الترمذي، وسائر العلماء قالوا: هو أبوجعفر الخطمي، وهو الصواب). (الأنصاري).

فصـــل

وأما بعد وفاته ﷺ: فقد كانت الصحابة إذا أهمهم أمر، أو نابتهم نائبة ذهبوا إلى خيارهم وأفاضلهم، يتوسلون إلى الله بدعائهم وشفاعتهم:

كما روى البخاري: أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس، فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا[1] ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيُسقَون)[2].

قالوا: وكان من دعاء العباس لما استسقى به عمر: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة... وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث)، فأرخت السماء مثل الجبال.

ا. هـ من شرح البخاري[3].

---

(١) أي: بدعاء نبينا.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٥، ١٦).

(٣) [فتح الباري](٢/ ٤٩٧).

فصـــل

ومن هذا توسل أصحاب الغار، روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم.**

فقال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغْبِقُ[١] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى[٢] بي طلب شجرٍ يوماً فلم

---

(١) أغبق: بفتح الهمزة وكسر الباء، وقيل: بضمها، والغبوق: هو الذي يشرب بالعشي. ومعناه: كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلاً ولا غيرهم.

(٢) فنأى: أي بعُد.

أُرِح[١] عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت[٢] والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغَون[٣] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال النبي ﷺ: «قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت، حتى ألمّت[٤] بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى قدرت عليها ـ وفي لفظ ـ: حتى وقعت

---

(١) أُرِح ـ بضم الهمزة وكسر الراء ـ أي: لم أرد الماشية عن المرعى إليهما حتى ناما.

(٢) فلبثت: أي فمكثت واقفاً. والقدح: الإناء الذي يشرب فيه.

(٣) يتضاغون: أي يصيحون من الجوع.

(٤) ألمت: أي نزلت بها سنة مقحطة.

بين رجليها، قالت: يا عبدالله، اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففُرِج لهم.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق[1] أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت له فرقه، فرغب عنه[2]، فلم أزل أزرعه حتى جمعت بقراً ورعاءها، فجاءني بعد حين، فقلت: كل ما ترى من البقر ورعائها من أجرك، فقال: اتق الله، ولا تستهزىء، فقلت: إني لا استهزىء بك، خذ ذلك البقر ورعائها، فأخذه فذهب به، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي، فخرجوا يمشون»[3].

---

(١) الفَرَق: مكيال معروف بالمدينة، وهو ستة عشر رطلاً، وعينه ساكنة وقد تحرك. ا.هـ. [مختار الصحاح].

(٢) رغب عنه: أي أبى أن يأخذه.

(٣) أخرجه من حديث ابن عمر: البخاري (٣/ ٥١، ٥٢).

وكذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (اللهم أمرتني فأطعت، ودعوتني فأجبت، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكذا ما روى أبوبكر بن أبي الدنيا بسنده، عن ثابت، عن أنس قال: (دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قُبض، فبسطنا عليه ثوبه وله أم عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا، وقال: يا هذه، احتسبي[1] مصيبتك عند الله، قالت: وما ذاك؟ مات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: أحقٌّ ما تقولون؟ قلنا: نعم. فمدت يدها إلى الله، فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمت، وهاجرت إلى رسولك؛ رجاء أن تُعْقِبَنِي عند كل شدة فرجاً، فلا تحمل عليَّ هذه المصيبة اليوم، قال: فكشفت الثوب عن وجهه، فما برحنا حتى أكلنا معه).

---

(١) احتسبي: أي اعتدي مصيبتك في جملة البلايا التي يثاب على الصبر عليها.

إذا علمت هذا كله، فاعلم: أن التوسل المشروع، الذي شرعه الله على لسان نبيه المتبوع، إنما هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبيه ﷺ: من علم أو عمل قلبي أو بدني، أو ترك وكف عن عمل محظور.

فيدخل فيه جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي؛ امتثالاً لأمر الشارع.

ومن أعظم الطاعات:

دعاء الله تعالى، والتضرع إليه بالأدعية المأثورة، وذكره بآياته وكلماته وصفاته، وسواء كان هذا الدعاء من الداعي نفسه لنفسه أو لغيره، من الوالدين والأقربين والإخوان وسائر المسلمين - فلا مانع منه[1].

---

(١) ورد في الحديث «إن أسرع الدعاء إجابة: دعوة غائب لغائب» أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو (٢/ ٨٩) رقم الحديث (١٥٣٥)، وروى مسلم عنه ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو=

ومنه سؤال الله تعالى بصالح الأعمال؛ كالتوحيد، والإيمان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وحسن المعاملة، وحسن المجاورة، وحسن الخلق، وبر الوالدين، والجهاد في الطاعات، والعمل على ما يرضي بارىء الأرض والسموات، والإكثار من ذكر الله، والحب في الله، والبغض في الله، والنصيحة لله ولرسوله، وإحياء السنة، وهدم منار البدعة، وترك التقليد، واتباع آثار السلف، واجتناب آراء الخلف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخوف الله في السر والعلانية، والكرم والسخاء، والأناة، والحِلم، والحياء، والتقرب إليه تعالى بكل عمل صالح مشروع، وترك كل مذموم محدث ممنوع، وغير ذلك من الطاعات والقربات، كما جاء ذلك صريحاً في الآيات البينات، عمن ارتضاهم رب الكائنات

= لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثلٍ» أخرجه من حديث أبي الدرداء: (٤/ ٢٠٩٤) رقم الحديث (٢٧٣٢).

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٦]، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

إذا اتضح لك ما تقدم، علمت أنه من الجائز لك شرعاً أن تقول في توسلك: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك، بأنك أنت الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، أن تفعل بي كذا وكذا.

أو: اللهم إني أتوسل إليك بالقرآن العظيم، وبأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا، أن تفعل بي كذا.

أو: اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بسائر الأنبياء والمرسلين، أو: بإيماني واقتدائي وطاعتي ومحبتي

للنبي محمد ﷺ أن تفعل بي كذا، أو: أتوسل إليك باقتدائي بالخلفاء الراشدين، والصحابة الهادين المهديين، ومحبتي لجميع عبادك الصالحين، وآل بيت نبيك الطاهرين، أن تفعل بي كذا.

ولك أيضاً أن تقول: أتوسل إليك بحبي لعبدك فلان الصالح المطيع لك، وببغضي لعبدك فلان العاصي لأوامرك، وأتوسل إليك ببغضي وكراهيتي للكفر والكافرين بك، وبما أنزلت على رسولك، والعاصين لأوامرك ونواهيك، أن تفعل بي كذا، وهلم جرا.

لكن يشترط في هذا كله: أن يكون قائله صادقاً فيه - غير مدع ولا مغرور - كما كان حال أصحاب الغار الثلاثة المتقدم ذكرهم.

❊ ❊ ❊

فصـــل

وأما التوسل الواقع من بعض العوام بسؤاله تعالى بأشخاص الأنبياء والأولياء والصالحين، مما لا يعد قربة ولا وسيلة لهم إلى الله؛ لأنه لا عمل لهم فيه:

فإنه بِدَعٌ من القول وزور، وضلال من اللعين وغرور، وهو قطعاً غير مشروع، بل هو من عمل المشركين، الذي سرى إلى بعض المسلمين من أهل الكتاب، كما سرى إليهم من الوثنيين.

وذلك كقولهم: أسألك بحق النبي عليك[١]، بحق قبره المعظم أو قبته عليك، أو بجاهه أو بركته عليك، يا نبي الله، سقتك على ربك، أو يا سيدنا الحسين، أو

---

(١) سيذكر المؤلف في القسم الثالث من أقسام التوسل قول الإمام أبي حنيفة في قول الشخص: أسألك بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسولك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام، وهو المعتبر. (الأنصاري). [انظر: ص٤٣].

يا ست يا أم هاشم، أو يا بدوي، أو يا متبولي، سقتك على جدك، وسقت جدك على ربك، يا سيدي فلاناً أغثني، أو: أنا أستجير بك، أو: أستغيث بك، أو: انصرني على عدوي، وعلى من ظلمني.

وأعظم من ذلك أن يقول: اغفر لي وتب عليَّ، كما يفعله طائفة من الجهال المشركين.

وأعظم من ذلك أن يسجد لقبره، ويصلي إليه، ويرى الصلاة إليه أفضل من استقبال القبلة، حتى يقول بعضهم: هذه قبلة الخواص، والكعبة قبلة العوام.

وكذا قولهم: يا آل بيت النبي، نظرة إلينا بعين الرضا، مَدَدٌ يا أهل الله.

يا رجال الله، العارف لا يعرَّف، والشكوى لأهل البصيرة عيب.

خذوا بالكم معنا، راعونا يا أسيادي، نحن في حسبكم، نحن في جيرتكم، أَحَلْتُكم على كل من ظلمنا وجار علينا تصرفوا فيه، بينوا لي سريعاً فيه.

وكذا قول بعض أرباب العمائم:

يا آل طه عليكم حَمْلتي حُسِبَتْ
إن الضعيف على الأجواد محمول

يا سادتي:

مــن أمكــم لــرغبــة فيكــم جُبِـرْ
ومــن تكــونــوا نــاصــريــه ينتصِـر

يا ابنَ بنتِ الرسول أنت جواد
والتجــأنــا إلــى حِمــاك المنيـعِ

ســاءنا الدهــرُ بالخُطــوب فجئنــا
نرتجي من عطاك حسنَ الصنيعِ

ومــن تكــنْ بــرســول الله نصــرتُــه
إنْ تَلْقَه الأُسْدُ في آجامها تجمِ[1]

---

(١) الأَجَمة: الشجر الملتف، وجمعه أُجُم مثل قصبة، وقَصَب. الآجام جمع الجمع، وتجم: قال في [المصباح المنير]: وجم من الأمر يجم وجوماً ـ أمسك عنه وهو كاره. ا. هـ.

أو:

بالسيد البدوي أحمد ذخرنا
غوثِ الورى وهو المجير من العطبْ

يا كعبةَ الأسرار أنتَ غياثُنا
يا كاشفَ الكرباتِ يا شيخَ العربْ

أو كقول بعضهم في صورة شكواه التي رفعها لأحمد البدوي بعد كلام شنيع قدَّمه:

فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدي
ونطلب دينَ اللهِ واللهُ ناصرُ

وأنت إمام الأولياء ولا مِرا
وأنت غِياثُ الملتجي وهو حائر

إلى أن قال:

فها قد بسطنا بعض شأنٍ نريده
وثَمَّ أمورٌ قد حوتها الضمائر

فمنها دخولي في البقا وهدايتي
لأقوامِ طرق الله وهي المفاخر

وصحة جسم للذين أحبهم
كذلك في العز والعمر وافر
ونصري على الأعداء وجاهٍ مؤيَّد
وفوزٍ مبينٍ دائمٍ يتقاطر

إلى أن قال:

فقلْ يا طويل الباع ها قد أجبتكم
بكل الذي ترجون والله جابر

كل هذا مما يعلم اللهُ ورسولهُ وأهلُ التوحيد الخالص أنه عين الشرك والكفر وعين المحادَّة لله ولرسوله ﷺ.

فلا حياهم الله ولا بياهم، ولا جزاهم خيراً، ولا رضي عنهم، حتى يتوبوا ويتبرؤوا ويعرفوا لله حقه، وهذا منهم هو بعينه كقول وفعل الذين [قال الله تعالى فيهم][1]: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

---

(١) عبارة قال الله تعالى فيهم: زدناها لاقتضاء المقام ذلك، وكذلك زدنا قبل الآيات الآتية الألفاظ المناسبة للمقام. (الأنصاري).

وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، [والذين قال الله فيهم][1]: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

فإنا لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عباد الله، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٧]، وقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ[2] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا[3] ﴾.

[الإسراء: ٥٦، ٥٧]، وقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن

---

(١) في الأصل (والذين قالوا: ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه) الآية. والصواب ما أثبتناه. (الأنصاري).

(٢) الوسيلة: القُربة.

(٣) أي: حقيقاً بأن يحذره كل أحد.

دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقال تعالى عن المجرمين الكافرين: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

أما سمعتم قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وأنه ﷺ قام فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبدالمطلب، يا بني عبدالمطلب، يا عباس بن عبدالمطلب، يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله،

فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ـ وفي رواية ـ أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً» رواه مسلم(١).

وأنه لم يتمكن من الاستغفار لأمه، وقال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي» رواه مسلم(٢).

وقولَه له: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقوله: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ۝٢١ قُلۡ إِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة: (١/ ١٩٢، ١٩٣) رقم الحديث (٢٠٦) مختصراً، والحديث كاملاً متفق عليه من حديث أبي هريرة: البخاري (٣/ ١٩٠، ١٩١)، ومسلم (٢/ ١٩٢) رقم الحديث (٢٠٤)، لكن المؤلف ذكره بالمعنى.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة: (٢/ ٦٧١) رقم الحديث (٩٧٦).

لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا[(١)] ﴾ [الجن: ٢١، ٢٢]، وقوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ[(٢)] ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]، وقوله له: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

أمَا قرأتم قول الله سبحانه في عبده[(٣)] ونبيه نوح عليه السلام: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ

---

(١) ملتحداً: أي ملجأ ألجأ إليه.

(٢) الوتين: نياط القلب، وقيل: حبل الظهر، وقيل: عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

(٣) في الأصل (حكاية عن عبده). وهو خطأ؛ إذ ليس قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ ﴾ [هود: ٤٥] كلاماً لنوح عليه السلام حتى يقال: إن الله حكاه عنه؛ ولذلك أثبتنا (في) بدل عبارة: (حكاية عن)؛ لتستقيم العبارة.

مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

فسيد الرسل وسيد ولد آدم، وأول شفيع في الجنة الذي يكون شهيداً على جميع الأمم، ويكون آدم ومن دونه من الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة، مع عظم جاهه، ورفعة درجته، وجليل قدره عند ربه، لم يغن عن أقاربه ولم يملك لهم من الله شيئاً، بل لمّا همّ ﷺ بالاستغفار لعمه أبي طالب أنزل الله عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وكذلك أبو الأنبياء (نوح عليه السلام)[١] لم يتمكن

(١) المشهور عن نوح أنه أول الأنبياء، أما لقب (أبو الأنبياء) فالمشهور به (إبراهيم عليه السلام).

من التشفع لولده وفلذة كبده[١]، بل نهاه الله وزجره وهدده ومنعه أن يقول: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى[٢]﴾ [هود: ٤٥]. وما ذاك إلا لكون ولده كان عاصياً لله ورسوله، فمن أطاع الله قرَّبه إليه ومن عصاه سخط عليه.

ومن ذلك ما حكى الله عن امرأة فرعون: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]، فأجاب الله دعاءها، ولم يضرها بطغيان وكفران زوجها، وكما حكى عن امرأة نوح وامرأة لوط إذ قال تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ

---

(١) الفلذة: القطعة من الشيء، والجمع فِلَذٌ. ا.هـ. [المصباح المنير] (٢/ ٤٨١).

(٢) في الأصل: أن يقول: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥] ولا يخفى أن المنهي عنه هو قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾، ولذلك اقتصرنا عليه. (الأنصاري).

يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام قال لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وهكذا يكون عدلُ الله سبحانه ومساواته بين أكابر عباده وأصاغرهم.

ثم إن ههنا نكتة لطيفة ينبغي التفطن لها وهي: إذا كان هذا فعل الله سبحانه بأقرب الناس إلى أنبيائه الذين هم أعظم وأفضل وأكرم خلقه في حال حياتهم، فكيف تكون الحال مع غير أقاربهم بعد وفاتهم؟! وكيف بمن دونهم بمراحل من الأولياء؛ كالبدوي، والمتبولي، والدسوقي، والبيومي، والصاوي وغيرهم؟ لا شك أن هذا ممنوع غير مشروع.

والقرآن العظيم، والذكر الحكيم، المنزل من لدن

عزيز عليم، ناطق في غير موضع بأن الإنسان لا يجازى إلا بما قدمت يداه من خير أو شر، فلا صالحُ ولا سيءُ عملِ الآباء ينفع أو يضر الأبناء، ولا العكس، اللهم إلا ما استثنى بالنص[١]:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ[٢] ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال عز ذكره: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال عز شأنه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ

---

(١) كدعاء الإنسان لوالديه وإخوانه، الأحياء منهم والأموات، وكذا الصدقات.

(٢) ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: من الذنوب ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ عقوبة ذلك، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يعني: لا تؤاخذ نفس آثمة بإثم أخرى، ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر.

ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦ـ٤١].

وقال جل علاه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

يفهم من هذه الآيات أن الأمر ليس بالأماني، كما قال الله تعالى[1]: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا[2]﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

---

(١) في الأصل: (يفهم من هذه الآيات أن ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النساء: ١٢٣]، ولا يخفى ما في هذا التصرف؛ ولذلك زدنا ما بين أن وبين ﴿لَّيْسَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآية. (الأنصاري).

(٢) النقير: نقرة في ظهر النّواة.

فالذين آمنوا واستقاموا على الطريقة، وعملوا الصالحات، وجاهدوا، وسارعوا في الخيرات بما يرضي بارىء الأرض والسموات ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ويقال لهم في الجنة: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤]، ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٩]، وتحييهم الملائكة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]، ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

والذين اجترحوا السيئات[1]، وسعوا في الأرض بالفساد، وعملوا ما لا يرضي رب السموات، قال الله فيهم[2]: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا

---

(١) اجترحوا: اكتسبوا.

(٢) لم يذكر المؤلف قول الله تعالى في الذين اجترحوا السيئات ﴿ أَمْ =

وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه: ٧٤]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ[1] ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، وقال: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقال: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ[2] ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾ [المعارج: ١١-١٤] فيكون الجواب له: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ[3] ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]، وقال: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ[4] ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ

= حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الآية [الجاثية: ٢١] لم يذكره مع تلك الآيات التي سردها؛ ويظهر من ذلك أنه لم يستحضره وقت الكتابة، (الأنصاري).

(١) سعر: أي نيران.

(٢) فصيلته: عشيرته.

(٣) لظى: اسم من أسماء النار، والشوى: الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: غير ذلك.

(٤) شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، والمهل كدردي الزيت الأسود. فاعتلوه: أي ادفعوه، الحميم: الماء الحار إذا اشتد غليانه.

ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٣ـ٤٩]، ويقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٦].

فالعاقل الفطن من تدبر وعقل معنى قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾(١) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾(٢) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ١٨ـ٢٠].

---

(١) تطهر من الكفر ومعاصي الله، وعمل ما أمر الله به فأدى فرائضه.

(٢) أي: طهرها من المعاصي وأصلحها بالصالحات من الأعمال.
﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١٠]: أي خابت وخسرت نفس أضلها الله وأفسدها.

إذا تبيَّن لك هذا وفهمته، فاعلم أن التجاءك ونداءك ودعاءك غيرَ الله ضرر عليك عظيم، وخطر جسيم، وفيك وفي أمثالك يقول القرآن الحكيم: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

فيا علماء الدين، ويا أئمة المؤمنين، ويا ملوك المسلمين، أي رُزْء[1] على الإسلام أشد من الكفر؟! وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البيِّن واجباً؟! ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ[2]﴾ [الحج: ٣١].

---

(١) الرُّزْء: ـ بضم الراء المشددة ـ الرزية والمصيبة.

(٢) السحيق: البعيد.

إخواني، اذكروا قول الله لنبيه: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا[1] ﴾ [الإسراء: ٢٢]، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا[2] ﴾ [الإسراء: ٣٩]، ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

وخلاصة القول الجلي: أن التوسل ينقسم إلى خمسة أقسام:

الأول: ما قدمناه لك في أول الكتاب، وهو: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وبما شرعه في كتابه على لسان نبيه ﷺ من الطاعات، والأعمال الصالحات، وتحريم

---

(١) مذموماً: أي من غير حمد، مخذولاً: أي بغير ناصر. ا.هـ [تفسير الخازن].

(٢) ملوماً: تلوم نفسك، مدحوراً: مبعداً من رحمة الله. ا.هـ [تفسير البيضاوي].

المعاصي، وهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته:

وهذا يكون في حياته بطلبنا الدعاء منه، أو دعائه بدون طلب،

ويكون يوم القيامة بما ورد من طلب الناس منه أن يشفع لهم، فيجيب، ويدعو فيُجاب.

الثالث: التوسل بحق النبي أو الولي، أو بجاهه أو بركته أو بحق قبره أو قبته: وهذا مذموم، منهي عنه، محرم بلا نزاع. قال شارح [الإحياء] وغيره: وكره أبوحنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، أو بحق البيت الحرام والمشعر[1] الحرام، ونحو ذلك؛ إذ ليس لأحد على الله حق.

وفي متون الحنفية: إن قول الداعي المتوسل

---

(١) المشعر الحرام: جبل بآخر مزدلفة، واسمه قزح، وميمه مفتوحة على المشهور. ا.هـ [المصباح المنير].

بحق الأنبياء والرسل، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم. ا. هـ.

الرابع: أن يُقال للميت من الأنبياء أو الصالحين: ادع الله لي، أو سَلْهُ، أو شَفَّعْتُكَ على فلان، وشَفَّعْتُ فلاناً على الله في كذا وكذا.

كل هذا مما لا يشك عالم بشريعتنا المطهرة أنه - قطعاً - من البدع المحرمة، التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة، وهي تجرُّ صاحبها شيئاً فشيئاً إلى نداء ودعاء صاحب القبر نفسه، فيكفر، والعياذ بالله.

والخامس: النداء والاستغاثة بغير الله.

كأن يقول: يا سيدي فلاناً، أغثني، أدركني، انصرني على عدوي، أو على من ظلمني، مدد يا سيدي، شيء لله يا أهل الله، نظرةٌ إلينا بعين الرضا.

فهذا شرك وكفر بالله تعالى.

اللهم إني أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبته لي.

فصل

وحديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم».

أو «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم». مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ، وليس له أصل قطعاً في كتاب من الكتب المعتمدة.

ومثله حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور - أو - فاستغيثوا بأهل القبور»، موضوع مختلَق، لم يروه أحد من العلماء، ولم يوجد في شيء من كتب الدين الصحيح كما قاله شيخا الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم في غير موضع.

وكذا حديث: «إن الله تعالى يوكل ملكاً على قبر كل ولي يقضي حوائج الناس» من أفرى الفِرَى، وأكذب الكذب على الرسول ﷺ.

وكذا (الحكاية) المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة، من الكذب الظاهر.

فإياك إياك يا ابن الإسلام أن تغتر بمثل هذه الترهات ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]؛ فإنه قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ولا تناد إلا الله، ولا تلجأ إلا إلى الله، ولا تستنجد ولا تستغث إلا بالله، ولا تدع مع الله أحداً.

واعلم أن الله أقرب إليك ممن تدعوهم ولا يستجيبون لك بشيء، وتنبه لقول ربك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

أخي، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرك أو نفعك، لا يضرونك ولا ينفعونك إلا بما كتبه الله لك

أو عليك.

أخي، قل: (يا أرحم الراحمين) ثلاثاً، بدل قولك: يا رسول الله، أو يا سيدنا الحسين، أو يا شيخ العرب؛ فقد ورد: (أن من قالها، قال له المَلَك الموكل: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل).

قل: (يا ذا الجلال والإكرام)؛ فقد ورد (ألظوا[1] بياذا الجلال والإكرام)[2]، بدل قولك: يا أم العواجز يا ست، يا حامي طنطا، يا سيد، يا حامي القنديل، يا أبا العُلا!!

قل: يا رب العالمين، قل: يا حي يا قيوم، قل: يا أكرم الأكرمين، قل: يا بديع السموات والأرض، قل: يا علام الغيوب، قل: يا خير المسؤولين، عند قيامك وقعودك، وشدتك ورخائك، بدل قولك:

---

(١) أي: ألحوا في دعائكم.
(٢) أخرجه من حديث أنس: أحمد (٤/ ١٧٧)، والترمذي (٥/ ٥٠٤) رقم الحديث (٣٥٢٥).

يا سيدي فلاناً ويا سيدتي فلانة! ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

* * *

فصـــل

روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: عجبت لمن بُلي بالضر كيف يذهل[١] عنه أن يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ[٢]﴾ [الأنبياء: ٨٣]، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]؟!

وعجبت لمن بُلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؟!.

---

(١) الذهول: النسيان والغفلة.

(٢) في الأصل: أن يقول: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، والصواب ما أثبتناه، وهو الموافق لما في كتاب [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات] للمؤلف، ثم إن زيادة (رب) في الآية التي ذكرها المؤلف مخالفة للتلاوة. (الأنصاري).

والله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول: (حسبي الله ونعم الوكيل) والله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن كُوْيِدَ في أمر كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]، والله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]؟!

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة وخاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1] [الكهف: ٣٩]. ا.هـ. من شرح [الإحياء].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب (كيف يذهل عنه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، والذين يقولون: الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] (الأنصاري).

فعليك أيها الأخ المسلم بهذه الأدعية القرآنية، وكذا الأدعية النبوية، فإنها لا يعادلها دعاء ولا يسابقها، ولا يحجبها عن الله حجاب، قل: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ[١] رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟[٢] رَبَّنَآ

---

(١) يقتضي قول المؤلف قبل ذكر هذه الأدعية (قل) الاكتفاء بذكر ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤] إلى آخر الدعاء، لأن قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ٧٤] ليس مما يدعو به الداعي، ا.هـ. (الأنصاري).

(٢) يقتضي المقام الاكتفاء بذكر ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: =

أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

= ٢٥٠] إلى آخر الدعاء؛ لأن قول الله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا﴾ [البقرة: ٢٥٠] ليس مما يذكره الداعي في دعائه. ا. هـ. (الأنصاري).

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه: ٢٥-٢٨][1].

* * *

---

(١) انظر الأدعية القرآنية المبدوءة بـ (ربنا) أو بـ (رب): [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] ص٣٦٤ إلى ص٣٦٥، ص٣٧٢ إلى ص٣٧٤، وكذا المبدوءة بـ (اللهم) ص٩٦.

فصل

من الأدعية النبوية:

«اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمتُ منه وما لم أعلم».

«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفُجَاءة نقمتك، وجميع سخطك».

«اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثأري».

«اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

«اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

«اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري، ومن شر لساني ومن شر مَنيِّي».

«اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة؛ فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

هذا وأمثاله هو الوارد المأثور عن النبي ﷺ، وهو كثير مشهور، فإن أردت الزيادة، فعليك بكتب السنة، خذه منها، واجتهد فيه؛ فإنه مخ العبادة[1].

* * *

(١) انظر هذه الأدعية النبوية وغيرها في الكتب المفردة في هذا مثل: [الأذكار] للنووي، و[الكلم الطيب] لشيخ الإسلام، و[الوابل الصيب] لابن القيم.

خاتمة

في بعض شبه يحتج بها الجهلاء والمصرحون بالتوسل من أهل العلم

فمن ذلك: احتجاجهم بآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وهذه الآية لا دليل لهم فيها قطعاً؛ لأن معنى الوسيلة فيها: التقرب إلى الله بالطاعات، والأعمال الصالحات. كما تقدم لك في أول الرسالة.

ومنه: احتجاجهم بآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وهي كالتي قبلها لا دليل لهم فيها؛ لأن أولياء الله هم الذين تولىٰ الله هدايتهم بالبرهان، وتولّوا القيام بحق عبوديته، والدعوة إليه، والنصرة لدينه.

قال الإمام الطبري في معنى الآية: (ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله؛ لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، والأولياء: جمع ولي، وهو النصير...) إلخ ما قال.

فالآية لا تخص جماعة بعينهم، بل تفيد أن كل عبد اتقى الله، ووالى طاعته، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يفزع إذا فزع الناس يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

ومنه: احتجاجهم بآية: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].

ونجيبهم بقولنا: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

قال أهل التفسير: الذي جاء بالصدق: هو النبي ﷺ، وصدق به: هم المؤمنون، فالذي بمعنى الذين[1] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤]، فالآية في حق النبي ﷺ، واختار ابن جرير كونها في كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسله والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ. ا.هـ. فالذي يفهم من الآية هو: أن كل من آمن وعمل صالحاً فله في الجنة ما يشاؤه، كما قال تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى: ٢٢].

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود: (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به).

ومنه: احتجاجهم بآيتي: ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ و﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[(١)].

ونقول لهم: هاتان الآيتان نزلتا في حق الشهداء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٣، ١٥٤]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والمعنى كما في [تفسير الطبري] وغيره، قال: (يقول تعالى جل ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعتي في جهاد عدوكم وترك معاصيَّ، وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت؛ فإن الميت من خلقي مَنْ سلبته

(١) كذا في الأصل، ولو قال: بآية: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وبآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] لو قال هذا كان أوضح. ا.هـ. (الأنصاري).

حياته وأعدمته حواسّه فلا يلتذ لذة، ولا يُدرك نعيماً، فإن من قُتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هني، ورزق سني، فرحين بما آتيتهم من فضلي وحبوتهم به من كرامتي) ا. هـ.

والآية الثانية: تفيد أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش). ا. هـ. [تفسير الطبري].

ومنه آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

والجواب: أن نقول: سبب نزول هذه الآية ـ كما ذكره المفسرون ـ أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله ـ من المراعاة ـ أي: أرعنا سمعك وفرّغه لكلامنا.

وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، ومعناها: اسمع لا سمعت. وقيل: الراعن عندهم الخطّاء، وقيل: من الرعونة: إذا أرادوا أن يحمقوا

إنساناً قالوا: (راعنا)، يعني: أحمق.

فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين، قالوا: - فيما بينهم - كنا نسب محمداً سراً، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها، - وكان يعرف لغتهم - فقال لليهود: لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله: ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، فأين حجتكم أيها القبوريون؟!

ومنه: احتجاجهم بآية: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩].

والجواب: أن نقول: قال إمام المفسرين الطبري: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث الله محمداً ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه - إلى أن قال -: كانوا

يقولون: اللهم ابعث لنا هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا، حتى يعذِّب المشركين ويقتلهم، فلما بعث الله محمداً ورأوه من غيرهم كفروا به، حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله، فقال الله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

ومنه: احتجاجهم على جواز نداء غير الله والاستغاثة به بحديث: «إن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ».

والجواب: أن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ (١) عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في

---

(١) شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره. ا.هـ [مختار الصحاح].

الحرب أو غيره مما يقدر عليه المخلوق.

وإنما ننكر استغاثة العباد بالمقبورين من الصالحين.

وإذا فهمت هذا: فاعلم أنه لا بأس بطلب المعاونة من الإخوان في كل ما يقدرون عليه.

وكذا من المشروع ذهابك إلى بعض الصالحين الأحياء ـ لا الأموات ـ لطلب الدعاء منهم، وأما بعد وفاتهم فممنوع دعاؤهم والاستغاثة بهم، بل المطلوب الدعاء لهم.

ومنه: احتجاجهم بأن هؤلاء الأنبياء ومَنْ دونهم من الأولياء والصالحين الأموات، واسطة وسبب بيننا وبين الله في قضاء مصالحنا وجلب منافعنا ودفع مضارنا؛ لأنا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك.

والجواب عن ذلك: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته [الواسطة بين الخلق والحق] وهو:

الحمد لله رب العالمين، إن أراد بذلك أنه لابد من

واسطة تبلِّغنا أمرَ الله، فهذا حق؛ فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما ونهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، التي تعجَز العقول عن معرفتها، وأمثال ذلك، إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.

فهذه الوسائط تُطاع وتتبع ويقتدى بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وإن أراد بالواسطة: أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه.

فهذا من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم

المنافع ويجتنبون المضار.

لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق، قال الله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾(١)

[الإسراء: ٥٦، ٥٧].

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً،

---

(١) أدى سقوط هذه الآية الكريمة من الأصل إلى إيهام كون تفسيرها للآية التي قبلها. ا.هـ. (الأنصاري).

وأنهم يتقربون إلى الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ـ إلى أن قال ـ:

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط: يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلبَ المنافع ودفعَ المضار، مثل أن يسألهم غفرانَ الذنوب، وهدايةَ القلوب، وتفريجَ الكروب، وسدَّ الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

قال: ومَنْ سوى الأنبياء، من مشايخ العلم والدين:

فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته، يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم، فقد أصاب في ذلك.

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه: كالحُجَّاب الذين بين المَلِك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس؛

لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك.

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أنداداً.

إلى أن قال: والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان. ا. هـ باختصار.

وكذا: احتجاجهم بحديث: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم».

وهذا الحديث ذكره في [الجامع الصغير] عن الحارث عن أنس، وضعفه هو وشارحه، وذكره بعده أيضاً بلفظ: «حياتي خير لكم تُحَدِّثون ويُحْدَث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالكم: فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً

استغفرت لكم».

قال في [الجامع] وشرحه: رواه ابن سعد في طبقاته[1] عن بكر بن عبدالله المزني مرسلاً ورجاله ثقات.

وكذا ذكره الغزالي في [الإحياء] بهذا النحو، لكن الحافظ العراقي هدَّمه تهديماً، وحطَّمه تحطيماً! فقال: رواه البزار من حديث ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبدالعزيز بن أبي روَّاد - وإن أخرج له مسلم، ووثقه ابن معين - فقد ضعفه كثيرون.

وفي رواية الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف ا. هـ. قلت: والقاعدة عند المحدثين: أنه يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ما لم يشتد ضعفه، وإلا

(١) انظر: [الطبقات] لابن سعد (٢/ ٢/ ٢)، و[الكامل] لابن عدي (٣/ ٩٤٥).

فلا يجوز إلا مقروناً بالبيان.

وهذا الحديث ـ زيادة على أنه سقط منه الصحابي، وضعفه الكثيرون ـ فهو معارض بما رواه أحمد والبخاري ومسلم ومالك في موطئه وأبو داود: أنه ﷺ قال: «ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»(١).

محل الشاهد: أن الحديث الشديد الضعف يقول: (تعرض عليَّ أعمالكم) أي هو يعلم ما عليه أمته من

(١) متفق عليه من حديث أنس: البخاري (٧/٢٠٧)، ومسلم (٤/١٨٠٠) رقم الحديث (٢٣٠٤).
والحديث مذكور بالمعنى، وفيه تداخل مع حديث ابن عباس عند البخاري (٤/١١٠).

خير أو شر! والحديث الصحيح يقول: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وبهذا ينحل الإشكال، ويُقْفَل باب التراشح والجدال، والحمد لله على كل حال.

❋ ❋ ❋

فائدة مهمة جداً

أخرج الإمام أحمد عن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يَجُوزُه[1] أحد حتى يقرب إليه شيئاً، فقالوا لأحدهم: قَرِّبْ ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»[2].

وأخرج الترمذي وصححه، عن أبي واقد الليثي

---

(١) جاز الموضع: سلكه وسار فيه، يجوز جوازاً. ا.هـ. [مختار الصحاح].

(٢) أخرجه: أحمد في [الزهد] ص١٥، وأبونعيم في [الحلية] (١/ ٢٠٣)، وابن أبي شيبة في [المصنف] (١٢/ ٣٥٨) رقم الحديث (١٣٠٨٤).

قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة[١] يعكفون عليها وينوطون بها[٢] أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فقلنا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم**»[٣].

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه من حديث عمر[٤]: أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، وفي رواية: «**فقد كفر**»[٥].

---

(١) السدر: شجر النَّبِق.

(٢) ينوطون: أي يعلِّقون.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٤١٢، ٤١٣) رقم الحديث (٢١٨٠) بنحوه.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ابن عمر، كما يعلم من مراجعة الترمذي والحاكم. (الأنصاري).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٩٣، ٩٤) رقم الحديث (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، ٥٢) و(٤/ ٢٩٧).

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر عنه ﷺ: «**من علق تميمة فقد أشرك**»[١].

وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**» ﷺ[٢].

وروى مسلم وغيره عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[٣].

وفي سنن أبي داود والترمذي وصححه عن ابن مسعود عنه ﷺ: «**الطيرة[٤] شرك، الطيرة**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٤١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨).

(٣) [الجامع الصحيح] لمسلم من حديث أبي هريرة (٤/ ٢٢٨٩) رقم الحديث (٢٩٨٥).

(٤) الطيرة شرك. هذا صريح في تحريمها، وأنها من الشرك؛ لاعتقادهم أن الطيرة تجلب نفعاً أو تدفع عنهم ضراً. وقد ورد في الأثر المرفوع: (من ردته الطيرة فقد قارف الشرك)، ومن هؤلاء=

شرك. . . .»[١].

وللنسائي عن أبي هريرة: «من عَقد عُقْدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك»[٢] الحديث.

وإذا علمت أن الرسول ﷺ أخبر بدخول مَنْ قَرَّب ذباباً لغير الله النارَ.

وبأنَّ مَنْ طلب شجرة لتعليق سلاحه بها من غير قصد عبادتها بمنزلة الشرك بالله، وطلب إله غيره.

وأن الحلف بغير الله وتعليق شيء للتشفي به، وتصديق العرَّاف والكاهن كالرَّمَّالين وضرَّابي الوَدَع، كُفرٌ، وأن عدم الإخلاص لله في العمل، والتطير،

= ناس يمتنعون عن أكل الجبن والسمك في يوم الثلاثاء والأربعاء والسبت تطيراً. وهذا جهل قبيح نعوذ بالله منه.

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٣٠) رقم الحديث (٣٩١٠)، واللفظ له، الترمذي (٤/ ١٣٧، ١٣٨) رقم الحديث (١٦١٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٠) رقم الحديث (٣٥٣٨)، والحاكم (١/ ١٧).

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ١١٢) رقم الحديث (٤٠٧٩) بتحقيق أبي غدة.

والسحر شرك بالله العظيم.

فاعلم أن دعاءك ونداءك غيرَ الله يكون شركاً وكفراً صريحاً من باب أولى، وكذا استغاثتك والتجاؤك لغيره لا شك عين الكفر والمحادة لله ورسوله ﷺ.

فافهم ذلك، واعمل عليه، والله يتولى هُدانا وهُداك.

وهذا آخر ما تيسر لي ذكره، وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم ـ أقول هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

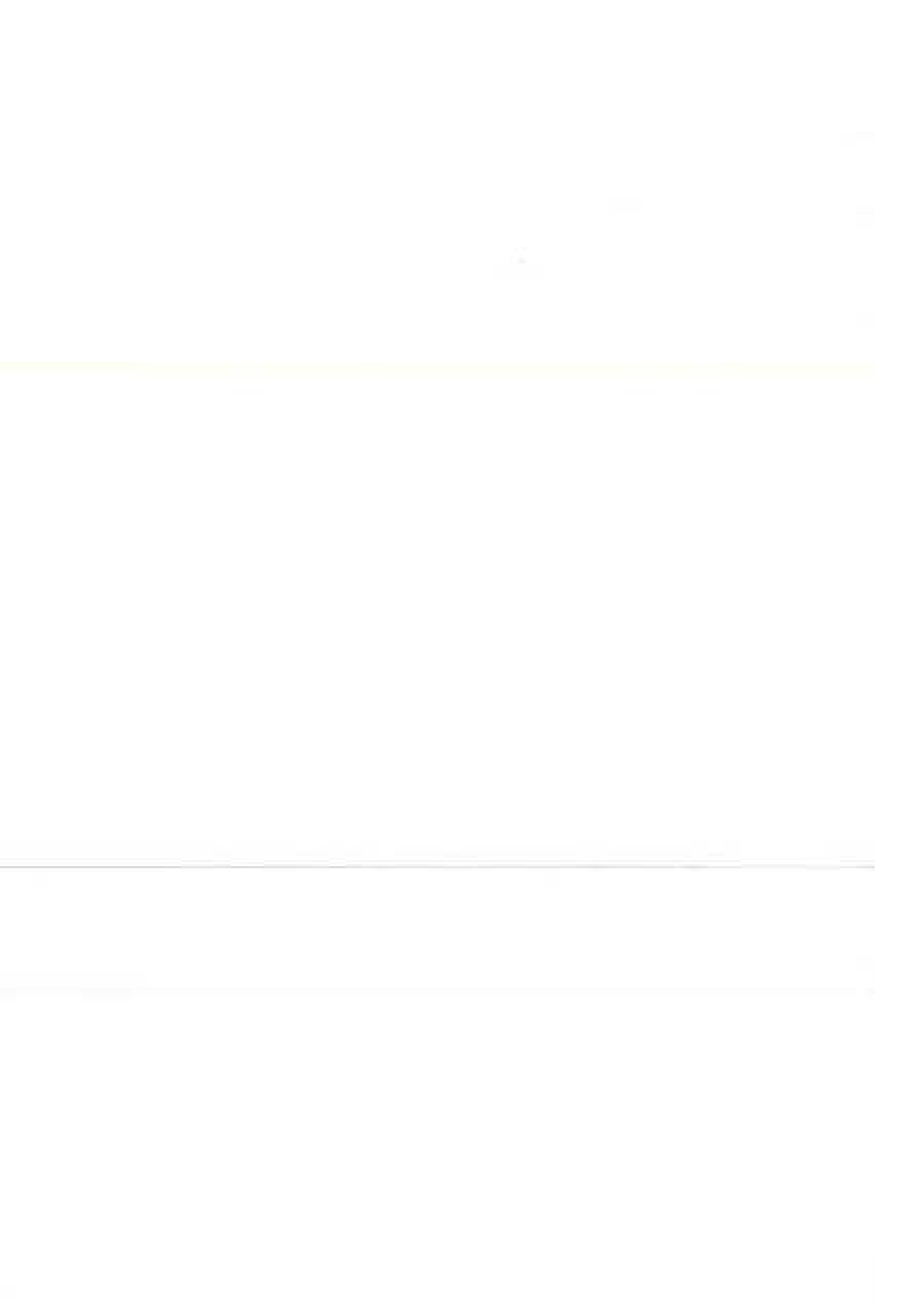
والسلام عليكم ـ أيها الأحبة الموحدون ـ ورحمة الله وبركاته.

* * *



الفهرس العام للموضوعات

* * *



رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

أ- الرياض

السنترال: ٤٥٩٥٥٥٥ - الرمز البريدي: ١١١٣١

فاكسملي: ٤٥٩٦٢٩٢ - تلكس: ٤٠٣٠٩٠

٤٥٩٦٩٤٣ - إفتاء إس جي

ب- مكة المكرمة

السنترال: ٥٥٨٩٨٢٥

٥٥٨٩٨٢٤ فاكس: ٥٥٨٨٧٨٧

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

سنترال: ٥٥٨٨٠٠٧

جـ- الطائف

السنترال: ٧٣٢٠٩٠٠ فاكسملي: ٧٣٢٣٣٨٠

٧٣٦٩٤١٦

تلكس: ٧٥٠٣٦٧

ردمك: ٩٩٦٠-١١-٢٠٨-X